

الليبرالية السعودية مروان المحمدي



من أسباب نشأة الليبرالية الغربية هو التسلط الجائر من قبل رجال الدين المسيحي والسياسة الغربية على شعوبهم؛ بسلب الأموال والقتل بغير حق وقمعهم بالزور والبهتان، ومما ساعد ذلك أن البابا في المسيحية يمتلك السلطة ويصبح أحد المتحدثين باسم الرب، وهذه من أسباب انحراف المسيحية.

وأخشى أن يصل بنا الحال إلى هذا، فقد مرت تلك البلاد بجهالات وجور وتجارب أيديولوجية سابقة فشلت وحولت المدن إلى عناوين في أدب الديستوبيا، حيث كانت الشعوب مضطهدة من هذا الظلم الجائر، حتى خرج الفلاسفة آن ذاك بالليبرالية والثورات والشيوعية والاشتراكية، والرأس مالية والعلمانية.. إلخ.

فوضعوا حلولاً لمحاولة مواجهة هذا الفساد الساكن في مجتمعهم الغربي، ونجحوا في المحاربة لا في الإصلاح، فلقد واجهوا الفساد بفساد آخر، حتى أصبح الوضع الاجتماعي والسياسي صفحات بيضاء لتجارب المفكرين، وبرز الفشل للمجتمعات، وأفصح المالئون منهم والمحامون والسياسيون والشعوب، كذلك أيقن ذلك الغرب أنها ليست حلول إصلاحية، وإنما كانت وسائل تحارب وتواجه بها ذلك السجن الشائك الذي لوث جدران أوطانهم.

فهذا موجز عن بداية ظهور الليبرالية في تلك الفترة، وتطبيق هذه الأنظمة القديمة منذ القرن السابع عشر، وما تلاه في العالم العربي من أمر يدعو للسخرية منه، فالأوضاع مختلفة والسياسات وطبيعة المنطقة وثقافتها من تمنع تكرار الأمر، وكل تلك الأفكار فشلت عندنا، ولم تجذب إليها سوى كل جاهل.

ومازال المطالبون العرب غير واعين لمعنى الحرية واحترام وجهات النظر والقيم الدينية لمن معهم في هذه الدولة، كلٌّ منهم قرأ وتأثر بالأدب الفرنسي والروسي وأصبح يريد أن يتوج من المخلدين؛ كمؤسسي الليبرالية السعودية، كما نقل وبرز "ماي تسي تونغ" في الصين و"لينين" الروسي الشيوعية، وللأسف عندما نجد أسماء بارزة في الأدب العربي هم كذلك متأثرين بمنهج الأدب الفرنسي في التحليل والنقد، وأصبحت الساحة الأدبية العربية متلونة وغير سيادية في رؤيتها وعرض أفكارها.

عندما يكون سكان المملكة العربية السعودية قد اختاروا القيم الدينية في حياتهم، وهم النسبة الأكبر في هذه الدولة، ألا يجب على الليبراليين العرب أن يحترموا تلك العقائد وتوجه المسلمين وأفكارهم وحريرتهم في ذلك؟! كيف يريدون الحرية إذ لم يحترم الفرد منهم الطرف الآخر وتوجهاته؟! وهذا من الدلالات على تخلفهم الفكري المنحرف ومن منظوري الفلسفي (أن الانسان في الأصل دائماً مقيد تحت أفكاره وليس حراً مهما حاول التحرر).

هم يعيشون في هذا الوطن، فهل يحق لهم يمسوا حريرتهم المزعومة كما نريد منهم احترام حريرتنا؟ في الواقع منذ ألف وأربع مائة سنة، وهذه الأرض للمسلمين، أقصد السعودية، وهم ملتزمون على صراط دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما اختاروه ولنا حريرتنا كبشر في ذلك، وهذا الصراط يوجب علينا أن تكون أنظمة الدولة وفق الأنظمة الإسلامية، فللمسلمين حق أن تكون لهم دولة وأنظمة خاصة بهم وهذه حريرتهم، ويجب على كل من يريد أن يعيش في هذه الأرض التي أسسها المسلمون أن يحترم توجهاتنا وحريرتنا في اختيار دستورنا الدين الإسلامي ولمبادئنا وبدون أن يتهجم ويتلفظ عليها أحد.

لكن مجتمعاً واعياً، ويجب على كل يساري أن يحترم أنظمتنا ويتقيد بها إذا كان في داخل بلادنا ووجهة المسلمين، وإن لم يعجبه ذلك فيستطيع الهجرة لبلد آخر يستقبله بأفكاره ومنهجيته، فلا يستطيع الليبرالي العربي العيش بدون أن يهاجم ويفرض أفكاره وسمومه على المسلمين، وهذه ليست حرية بل سلب لحرريات الآخرين، الليبرالية السعودية أصبحت تسلب حرية المسلمين وأمسّت تحاربها بفرض أفكار منهجية غريبة عليها، أليس للمسلمين حرية في اختيارهم لسبل عيشهم وأنظمتهم وسياساتهم؟ أم ان المتشدين العرب المطالبين بالحرية المطلقة الكلاسيكية والمعاصرة لا يدافعون عن حرية المسلمين في تحقيق هذه الحرية التي ينشدونها؟ وأن الحرية التي يطالبون بها مخصصة لهم ولفئات معينة وللطبقة البرجوازية في المجتمع، بل جل ما أراه محاولة لسلب حرية المسلمين، وفرض هذه الأنظمة المعادية لهم ولقيمهم فقط.

هو يعينه يرضى بفرض أنظمة مختلفة تتسلط على حريرته ولخصوصيته في بلدان غريبة أخرى عندما يسافر إليها، وفي السعودية لا يرضى بالأنظمة، لا يعرف معاني الحرية واحترام الوجهات الأخرى، فقط جل ما يفعله المهاجمة والمحاربة باسم الحرية والعلمانية لمصلحه وإخلال أمننا.

ففي نهاية الأمر تجد أن الليبرالية الغربية المعاصرة لا تعترف بأن الليبرالية السعودية تمثلها، وأن الليبرالية الأم التي خرجت من أفواه فلاسفتها المنشئين لا تعترف بكليهما، وجميعهم في وحل لا إصلاح منه.

مروان المحمدي